الفصل الثاني

أولا: المقاطع الصوتية

١. ما هو المقطع؟

المقطع مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة"[١] "وهو في تعريف واضح: تأليف أصواتي بسيط، تتكون منه واحداً، أو أكثر - كلمات اللغة - متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي - ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها"[٢]. يقول أبركرومبي عنه: "هو نتاج الطريقة التي تعمل بها ميكانيكية تيار الهواء الرئوية، وأساسه نبضة صدرية تركب عليها الحركات المخرجية المنتجة للقطوع، وما يرتبط بها من حركات الطبق والأوتار الصوتية[٣].

قد "اختلفت وجهات نظر العلماء وآراؤهم، حول تعريف المقطع، باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم في البحث فثمة اتجاه يعرف المقطع أكوستيكيا واتجاه

---

(١) أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب مطبعة الكيلاني القاهرة ١٩٨٦ ص١٣٩.

(٢) علم الأصوات: برتيل مالمبرج ، تر/ د.عبد الصبور شاهين،مكتبة الشباب ١٩٨٦ ص١٦٤.

(٣) مبادئ علم الأصوات العام: أبركرومبي.تر/د.فتيح، مطبعة المدينة ١٩٨٨، ص١١٢.

آخر، يعرفه نطقيا ماديا، واتجاه ثالث يعرفه وظيفيا فونولوجيا... ونحن إذ نوجه اهتمامنا في تعريف المقطع على الاتجاهين الأساسيين وهما:

١- الاتجاه النطقي (المادي) .

٢- الاتجاه الوظيفي(الفونولوجي)." [١]

الاتجاه النطقي: هو ما سنُقِيم عليه تحليلنا للمقاطع في سورة الواقعة فنحاول من خلال هذا الاتجاه أن نخلص إلى فهم هذه الصفة الخاصة بأصوات اللغة، وعلاقتها بموضوعنا (الفونيم الفوق تركيبي) حيث ننظر إلى المقطع كمجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة، وذلك في إطار تعريف المقطع من حيث النطق. ويقول كانتينو في تحديده للمقطع الصوتي: " إن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملا أو جزئيا، هي التي تمثل المقطع"[٢].

وقد عرفه بعض العلماء من الناحية الفسيولوجية على أنه نبضة صدرية، أو وحدة منفردة لتحريك هواء الرئتين: لا تضمن أكثر من قمة كلامية، أو قمة تموج مستمر من التوتر في الجهاز العضلي النطقي، أو نفخة هواء من الصدر.[٣]

١-١ الأساس العضوي للتقسيم المقطعي:

ينشأ المقطع نتيجة لحركة الرئتين واندفاع الهواء منهما دفعة واحدة تسمح بخروج هذا القدر من الأصوات بهذه الكيفية التي يحس بها الناطق والسامع على السواء، ويشرح د. عبد الرحمن أيوب كيف تتم عملية إنتاج المقطع قائلا: (يعتمد تقسيم الحدث اللغوي إلى مقاطع علي عدد ما يتضمن من دفعات هوائية تنتج بتأثير ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين، والمعروف أن إنتاج الأصوات عملية تبدأ

---

(١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب د. حسام البهنساوى، زهراء الشرق ٢٠٠٥ ص٢٠٨.

(٢) دروس فى علم الأصوات العربية: جان كانتينو ـ ترجمة صالح القرماوى ـ تونس ١٩٦٦ ص ١٩١.

(3) H,Stetson Buse of phonogy , p, 52.

بإخراج الهواء من الرئتين، واعتراض أعضاء النطق المختلفة طريق الهواء، وليس إخراج الهواء عملية عضوية تستمر قوتها دون اختلاف. بل إن ضغط الهواء يتفاوت من جزء من أجزاء الحدث اللغوي إلى جزء آخر[١]

ويلاحظ في أثناء الكلام أن الضلوع السفلية من القفص الصدري يتم رفعها وتثبيتها في وضع الرفع عند الزفير على حين تتولي عضلات البطن ضغط الهواء، وهكذا يتوتر النشاط في تجويف الصدر، فيزيد ذلك من توتر الحجاب الحاجز الذي يقوم بمقاومة نشاط عضلات البطن، وبذلك يتم التحكم في عملية الزفير بواسطة التوازن بين هاتين القوتين... وفي إنتاجية الكلام فيتخذ تيار الزفير صورة دفعات ذات طبيعة إيقاعية تتفاوت قوة وضعفاً، وترتبط هذه الدفعات بحدوث خفقات صدرية يتم على أساسها انتظام أصوات الكلام في مجموعة نفسية[٢].

وهذه الخفقات جعلت ستيتسون Stetson يرجح أن كل خفقة صدرية ترتبط بمقطع من مقاطع الكلام، فقد قاس نشاط عضلات التنفس، وقد لاحظ وجود علاقة بين المقاطع وبين تشنج العضلات التنفسية، وكذلك قارن منحنيات هذه التنوعات العضلية مع منحنى التوتر المسموع.[٣]

ويعلق د.سعد مصلوح على فرضية ستيتسون بقوله:

١- إن الفرض الذي يبدو معقولا - وإن لم يكن كافيا بنفسه لتفسير الأساس النطقي تفسيرا شاملا ومقنعا - يربط بين الخفقات الصدرية وتقسيم تيار الكلام إلى مقاطع.

٢- إن الخفقات الصدرية تتفاوت قوة وضعفا، وينشأ عن ذلك التفاوت المقاطع في قوتها النسبية، ببروز بعضها على حساب بعض، هو ما يسمى بالنبر[٤].

---

(١) أصوات اللغة: ص١٤١.

(٢) دراسة السمع والكلام د. سعد مصلوح، عالم الكتب القاهرة سنة ٢٠٠٠م ص ٢٢٨

(٣) علم الأصوات: برتيل مالمبرج ترجمة د.عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٦ ص ١٦٢

(٤) دراسة السمع والكلام ص ٢٢٩

وفي ضوء تلك المعطيات الصوتية يمكن أن نقول: إن هذا الربط بين الخفقات الصدرية التنفسية والمقاطع الصوتية؛ يمكن أن نستنتج منه:

أولا: أنه يجعلنا نشعر باستقلالية المقاطع عن بعضها؛ فلو حاولنا تقسيم ذلك التيار الهوائي الصادر من الرئتين، فنربط بين كل انقباضة صدرية للحجاب الحاجز وكل مقطع ينتج عنها؛ فيبدو كل مقطع ككتلة صوتية مستقلة عن أختها.

ثانيا: الكلام الذي يخرج على وتيرة واحدة، وفي صورة مقاطع متماثلة في أواخر فصلاته يتم بحركة ثابتة متكررة متماثلة في الصدر، والحجاب الحاجز، وهذا ما يؤدي إلى الانسجام الصوتي الناتج عن السير على وتيرة واحدة في المقاطع، أو ما يعرف بالنغم الخفي الذي نشعر به نتيجة هذا التماثل المقطعي؛ فيكون ذلك الانتظام في المقاطع (طولا وعددا ونوعا) إيقاعا منتظما.

ولذلك فإن ثبات حركة القفص الصدري والحجاب الحاجز على حركة واحدة متماثلة يؤدي إلى ما يعرف بالسهولة والتيسير الناتج عن هذا التماثل في حركة أجزاء الجهاز الصوتي السابقة، حيث ترتاح عضلات الصدر بتكرار حركات متماثلة، كذلك عضلات السمع التي تستقبل الترددات الصوتية المتماثلة نفسها والمتوقعة أحياناً، حيث يؤدي ذلك التماثل إلى توقع السامع للكلمة القادمة نتيجة لذلك التماثل في حركة القفص الصدري والخفقات الصادرة منه في شكل مقاطع متشابهة مرتبطة بكلمات متشابهة تكونت من تلك المقاطع، وهذا الأمر يحدث بكثرة في:

أولا: في الشعر

تأتي أبيات القصيدة على أحد أوزان بحور الشعر المعروفة والثابتة، في شكل مقاطع متقاربة، وتنتهي بقافية تلتزم - في الغالب - بنهايات مقطعية متشابهة في كل بيت، مما يؤدي إلى إيجاد تجانس صوتي ونغم متكرر في كل بيت، فلا يكون هذا النغم صادراً فقط عن حرف الروي، بل من الالتزام المقطعي المتكرر مع نهاية كل بيت، فالتشابه المقطعي في داخل كل بيت آت من الالتزام بوزن بحر واحد، وما به من تفعيلات ثابتة متكررة، مما يؤدي إلى حركة واحدة ثابتة في القفص الصدري، والحجاب الحاجز، وعدد محدد متكرر من الخفقات نتيجة ارتباطها بالمقاطع المتكررة والثابتة في كل بيت (غالبا).

يؤدي ذلك إلى القافية المتوقعة، حيث نتوقع أن تأتي كلمة معينة سوف نسمعها في نهاية هذا البيت، حيث نربط بين معاني القصيدة وإيقاعها وبين مقاطعها المختلفة في الأبيات التي سبقت هذا البيت؛ فنتوقع ما سيختاره الشاعر من بين كلمات اللغة كلها؛ فيأتينا بتلك الكلمة دون غيرها.

ولذا إذا قلنا لماذا نشعر براحة نفسية عند سماع قصيدة جيدة؟ نقول: إن هذه الراحة تأتي من التناسق والترابط بين الصوت والمعنى، فكل من الانسجام الصوتي والنغم المنتظم والمتكرر والمعنى الجيد يجعل الأذن تشعر بتلك الراحة التي تنتقل إلى النفس، ولهذا نرى الميل اللاشعوري إلى ذلك النوع من الكلام (الشعر)، حيث الشاعر يقول ما في نفسي من المعاني؛ ولكن بطريقة لا أقدر عليها، فهو يمثل التعانق بين الصوت والمعنى وصدى ذلك في نفس المتلقي.

فالمتكلم بهذا الكلام (سواء كان شاعراً أم راويا) يشعر بهذه الراحة النفسية بعد إلقاء القصيدة، فكل من الشاعر والراوي إلى جانب استحضار المعنى الجيد يغلب عليهما النغم المتكرر المتناسق والانسجام الصوتي الناتج عن تكرار حركة واحدة متناسقة للقفص الصدري والحجاب الحاجز، وخروج خفقات متماثلة متكررة في مقاطع متشابهة.

ثانيا: في النثر

يحدث هذا في الخطب والمقالات الأدبية والأمثال والعبارات الإتباعية؛ كما في (حار يار ـ شيطان ليطان ـ لا يملك حلوبة و لا ركوبة) حيث تتفق المقاطع الأخيرة في الكلمات لتحقق النغم الإتباعي، كما في الكلمات السابقة،[1] وغيرها من العبارات الإتباعية، وكذلك في الأمثال العربية والعامية نماذج كثيرة.

ثالثا: في القرآن

أما في القرآن الكريم فالأمر يختلف، حيث نجد عناصر كثيرة تحقق الانسجام

(١) انظر كتابنا" الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث" د.عطية سليمان أحمد، دار الكتب العلمية ، القاهرة ،٢٠٠٥ص ١٤.

الصوتي والتجانس الذي نشعر به ولا نعرف مصدره، منها عنصر المقاطع. يقول د. عبد الصبور شاهين في تعريف المقطع أنه (تأليف صوتي بسيط تتكون منه واحداً أو أكثر ـ من كلمات اللغة ـ متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي، مع نظام اللغة في صوغ مفرداتها، وهو تعريف مضينا إليه في كتابنا عن القراءات القرآنية[١]. فنجده يربط بين المقطع وإيقاع التنفس الطبيعي، وقد تحقق له هذا من خلال الدراسة الصوتية للقراءات القرآنية.

وهناك تعريفات أخرى للمقطع روعيت فيها جوانب أخرى لهذا الحدث الصوتي، الجانب الوظيفي، حيث عرفه دي سوسير (بأنه الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها). وهو اتجاه فونولجي يرى أن المقطع عبارة عن الوحدة التي يمكن أن تشكل درجة واحدة من النبر أو وقفة واحدة كما في كثير من اللغات[٢]. وهنا تبدو النظرة واضحة إلى المقطع كوحدة صوتية تصدر من الجهاز الصوتي بخصائص صوتية مختلفة من لغة إلى أخرى.

٢.١ تقسيم الأصوات من حيث وضوح السمع إلى قمم ووديان:

تقوم عملية التقسيم المقطعي للأصوات على طبيعة الصوت، ومدى تأثره أو تأثيره بما يليه أو يسبقه من أصوات مما يدركه السامع من فروق بين تلك الأصوات من خلال خاصية وضوح السمع، يقول د.عبد الرحمن أيوب: المقطع هو مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين بينهما قمة، ويمكن تقسيم الكلام إلى مقاطع بمجرد السماع. ولكن ليس من الممكن على وجه التحديد تعيين النقطة التي ينتهي عندها مقطع ليبدأ بعدها المقطع الذي يليه. وذلك لأن الكلام الإنساني متداخل الأجزاء بحيث يكتسب الجزء القوى شيئا من ضعف الجزء الضعيف الذي يسبقه، وبالعكس يكتسب الضعيف شيئا من قوة سابقه أو لاحقه، ومثال ذلك... النون والدال، وقد فقدت الأولى شيئا من قوة إسماعها لمجاورتها للثانية،

(١) علم الأصوات برتيل ص ١٦٤.

(٢) علم الأصوات: برتيل، ص ١٦٢.

ويطلق بعض الكتاب على الأجزاء المرتفعة المبينة في الرسم البياني للتقسيم المقطعي لحدث من الأحداث اللغوية اسم التلال وعلى الأجزاء المنخفضة اسم الوديان. ويقرر أن الوديان قد تكون منحدرة وقد تكون مستوية"[١]

هذه الظاهرة توضح جانبا من القضية؛ وهو الطبيعة الخاصة بالأصوات، وأثر ذلك علي علاقة الجوار بينهم، ودور المقطع في تمييز ظاهرة التأثير والتأثر بينهم، وقيام ذلك التمييز على حاسة السمع.

قال د. أيوب: "مما تقدم يمكن أن ندرك أن بعض الأصوات قد يكون مرة قمة ومرة قاعدة، وأن بعضها لا يقع إلا قمة وبعضها آخر لا يقع إلا قاعدة "[٢]

هذا الأمر يجعلنا نعيد النظر إلى الأصوات وتقسيمها في ضوء تلك المفاهيم السابقة، فلكل صوت طبيعة تكوينية مختلفة، تجعله يُحدث نغما مختلفا عن غيره؛ فيتأثر أو يؤثر في غيره، مما أوجد لنا ظاهرتي المماثلة والمخالفة الصوتية، كذلك الأثر الذي يوجده في السياق الصوتي الذي هو فيه، ونعنى بالسياق الصوتي المقطع الصوتي الذي يوجد فيه داخل الكلمة أو العبارة، فيجعل لهذا المقطع خصائص صوتية مستقلة نتيجة وجود هذا الصوت في هذا السياق الصوتي، لهذا اتجهتُ إلى كلام د. أيوب في هذا الشأن لأعرض على المتلقي بيانا بتلك الأصوات وخصائصها، ذلك لأنني وجدت في أثناء هذه الدراسة التي بين أيدينا كثيرا من الصدى لتلك الظاهرة، حيث نجد بعض هذه الأصوات التي تسمى بالأصوات المقطعية في نهاية الفاصلة القرآنية، وقد أثرت هذه الأصوات المقطعية في ذلك المقطع الأخير من الفاصلة الذي وُجِدتْ به، بل إنها لها أثر علي الآية كلها، وعلاقتها بالفواصل التي بالآيات التي تدخل ضمن مجموعتها ـ كما سنرى ـ حسب تقسيمنا للسورة إلى مجموعات صوتية متفقة من حيث الفاصلة؛ فتصبح كل مجموعة كأنها ذات فاصلة واحدة.

---

(١) أصوات اللغة: ص ١٣٩

(٢) أصوات اللغة: ١٤٠

وقد أشار إلى هذه الأصوات د.أنيس بقوله: "الكلام المتصل يتكون من أصوات لغوية تختلف في نسبة وضوحها السمعي. وترتب على هذه النسبة أن قسموا الأصوات إلى قسمين رئيسيين: هما الأصوات الساكنة وأصوات اللين.

وقد اتضح لهم أن الأصوات الساكنة بطبيعتها، أقل وضوحا في السمع من أصوات اللين.على أن المحدثين قد لاحظوا أن اللام والنون والميم أصوات عالية النسبة في الوضوح السمعي، وتكاد تشبه أصوات اللين في هذه الصفة، مما جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين... وقد وجد المحدثون أن اللام والميم والنون تحتل القمم في بعض الأحيان مثلها في هذا مثل أصوات اللين. ولهذا اعتبروا أصوات اللين ومعها اللام والنون والميم أصواتا مقطعية، لأنها هي التي تحدد المقاطع الصوتية في الكلام. وقسموا لهذا مقاطع الجملة حسب ما فيها من أصوات اللين، وفى بعض الأحيان يضطرون إلى عد ما اشتملت عليه الجملة من لام أو نون أو ميم.[١]

١ـ٢ـ١ إحصاء الأصوات المقطعية بسورة الواقعة

من خلال ما سبق يتبين لنا أن في السورة ست وتسعين آية تنتهي بصوت: النون والميم والنون الساكنة (التنوين) واللام والباء والدال، وكانت النسبة الكبرى لصوت النون يليه صوت الميم ثم النون الساكنة، مما يعنى غلبة الأصوات المقطعية على تلك الفواصل بسورة الواقعة وبيانها كالآتي:

١. الفاصلة المنتهية بصوت النون: ٥٤ فاصلة بنسبة: ٥٦,٢٥ ٪
٢. الفاصلة المنتهية بصوت الميم: ١٨ فاصلة بنسبة: ١٨,٧٥٪
٣. الفاصلة المنتهية بصوت النون الساكنة: ٨ فواصل بنسبة: ٨,٣٣٪
٤. الفاصلة المنتهية بصوت التاء المربوطة: ١٠ فواصل بنسبة: ١٠,٤١٪
٥. الفاصلة المنتهية بصوت الدال: ٣ فواصل بنسبة: ٣,١٢٪
٦. الفاصلة المنتهية بصوت الباء: فاصلة واحدة بنسبة: ١,٠٤٪
٧. الفاصلة المنتهية بصوت اللام: فاصلة واحدة بنسبة: ١,٠٤٪

---

(١) الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية، ط١٩٨١، ٦، ص١٦٠

١ـ٢ـ٢ التوزيع الصوتي للأصوات المقطعية بالسورة:

يجب ألا نفهم مما سبق أن هذه الأصوات المقطعية المتماثلة تأتي متتالية؛ فتأتي الفواصل المنتهية بصوت النون مثلا (وعددها كما ظهر في الإحصاء السابق ٥٤ مقطعا) في صورة متتالية، وكذلك الميم، ثم النون الساكنة، بل تم توزيع تلك الفواصل في صورة تحقق الانسجام الصوتي مع عدم توالي الصوت نفسه؛ حتى لا يمل المستمع ويشعر بالرتابة، فلو نظرنا إلى توزيع تلك الفواصل على هذه الآيات لتبين لنا التناغم الناتج عن الدقة في التوزيع، وذلك من خلال النهايات المختلفة للمجاميع الصوتية التي قسمتُ عليها الآيات، وعددها سبع عشرة مجموعة هي:

١ـ المجموعة الأولى منتهية بصوت: هاء السكت، عدد الآيات: ثلاث.

٢ـ المجموعة الثانية منتهية بصوت: النون الساكنة، عدد الآيات: ثلاث.

٣ـ المجموعة الثالثة منتهية بصوت: هاء السكت، عدد الآيات: ثلاث.

٤ـ المجموعة الرابعة منتهية بصوت: النون+ الميم، عدد الآيات: خمس.

٥ـ المجموعة الخامسة منتهية بصوت: هاء السكت (مرة واحدة) + النون (٩ مرات)، عدد الآيات: عشر.

٦ـ المجموعة السادسة منتهية بصوت: النون الساكنة، عدد الآيات: آيتان.

٧ـ المجموعة السابعة منتهية بصوت: النون+ الدال+ الباء، عدد الآيات خمس.

٨ـ المجموعة الثامنة منتهية بصوت: هاء السكت، عدد الآيات: ثلاث.

٩ـ المجموعة التاسعة منتهية بصوت: النون الساكنة، عدد الآيات: ثلاث.

١٠ـ المجموعة العاشرة منتهية بصوت: النون، عدد الآيات: ثلاث.

١١ـ المجموعة الحادية عشرة منتهية بصوت: اللام+الميم، عدد الآيات: أربع.

١٢ـ المجموعة الثانية عشرة منتهية بصوت: النون+ الميم+ النون، عدد الآيات: أربع.

١٣ـ المجموعة الثالثة عشرة منتهية بصوت: النون + الميم + النون+ الميم + النون + الميم + النون، على هذا الترتيب، عدد الآيات: ثمان.

١٤ـ المجموعة الرابعة عشرة منتهية بصوت: النون+الميم، عدد الآيات: سبع عشرة.

١٥ـ المجموعة الخامسة عشرة منتهية بصوت: الميم+ النون، عدد الآيات: ثمان.

١٦. المجموعة السادسة عشرة منتهية بصوت: الميم+النون، عدد الآيات: خمس.

١٧. المجموعة السابعة عشرة منتهية بصوت: النون+ الميم+ النون+ الميم+ النون+ الميم، على هذا الترتيب عدد الآيات: تسع.

من هذا العرض نتبين أن تلك الأصوات وُزِّعتْ بين المجموعات بصورة صوتية دقيقة؛ قد نجد فيها الصوت الواحد يتكرر في المجموعة عدة مرات، وقد يجتمع في المجموعة أكثر من صوت متشابه أو متقارب أو مختلف مع ما في نهاية فاصلة تلك المجموعة؛ مما أوجد نغما متناسقا منتظما مختلفا عما سبق أحيانا أو متفقا، بطريقة تفاجئ السامع بإيقاع مختلف غير متكرر، بل متجدد، مما ينفى عنه الرتابة والملل من تكرر الإيقاع نفسه مع كل مجموعة.

٣-١ أنواع المقاطع في اللغة العربية

١- مقطع قصير مفتوح: ما تكون من صامت وحركة قصيرة (كَ) ص ح.

٢- مقطع طويل مفتوح: ما تكون من صامت وحركة طويلة (في)ص ح ح.

٣- مقطع طويل مغلق: يتكون من صامت +حركة قصيرة + صامت (مِنْ)ص ح ص.

٤- مقطع مديد: يتكون من صامتين بينهما حركة طويلة (بَاب) ص ح ح ص.

٥- مقطع زائد في الطول: يتكون من صامتين متتاليين في الوقف (بَنْتْ) ص ح ص ص[١]

خصائص المقطع في العربية

١- النوعان الرابع والخامس من المقاطع نادرة الشيوع في اللغة العربية، ولا يكونان في الشعر بل في النثر، "والرابع لا يجوز إلا في آخر الكلمات في حالة الوقف عليها أو في وسطها، بشرط أن يكون المقطع التالي له، مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق، وهذه الحالة الأخيرة، هي ما عبر عنها اللغويون العرب القدامى (بالتقاء ساكنين على حدهما) وهو أن

(١) التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب الخانجي، ط٢ القاهرة، ١٩٩٥، ص ٩٥

يكون الأول حرف لين، والثاني مدغما في مثله نحو ضالِّين وشابَّه ومدهامَّتان. فإذا نشأ هذا المقطع اشتقاقياً في غير هاتين الحالتين حولته اللغة إلى مقطع من النوع الثالث، مثل: يقوم، التي تصبح عند الجزم "لم يقم". وكان الأصل فيها لم يقومْ. غير أن المقطع: قُوْم هو من هذا النوع الرابع، الذي تفر منه العربية، وقد عمم ذلك في حالتي الوصل والوقف هنا، طردا للباب على وتيرة واحدة، فيقال: لم يقم محمد، كما يقال: محمد لم يقم، حين الوقف "[١]

التحليل المقطعي:

أ- لم يقومْ = ص ح + ص ح ح ص ـــ> لم يقُمْ = ص ح + ص ح ص. وذلك بتقصير الحركة الطويلة إلى مجرد ضمة، فتتخلص من التركيب المقطعي ص ح ح ص ـــ>وتحوله إلى التركيب المقطعي ص ح ص.

ب- التقاء الساكنين على حدهما، (الضالّين) ص ح ح ص + ص ح ح ص.

ج- عند الوقف: (شابّة) ص ح ح ص + ص ح ص.

د- التقاء المتماثلين مُدْهامَّتان: ص ح ص+ص ح ح ص+ص ح+ص ح ح ص

٢- يبتعد النظام المقطعي في العربية عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول، وهذا هو السر في تغيير نظام المقاطع في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك إلى مقطعين من النوع الأول بينهما مقطع من النوع الثالث مثل ضربت بدلا من توالي أربعة مقاطع من النوع الأول كما في ضربت[٢].

٣- أقل ما تتركب منه الكلمات العربية، هو مقطع واحد، وأكثر ما تتكون منه الكلمات العربية هو سبعة مقاطع.

٤- لابد أن يبدأ بصامت ولا يمكن أن تبدأ الكلمة العربية بحركة.

٥- أنه لا يجوز أن تبدأ الكلمة العربية بصامتين.

---

(١) المرجع السابق: ص٩٦

(٢) فصول فى فقه العربية: ١٥٨

٤.١ العلاقة بين المقطع الصوتي والوزن الصرفي:

الميزان المقطعي

يقول د. كشك: "لا يمكن فهم الوزن المقطعي بعيدا عن فهم المقطع اللغوي. والمقطع اللغوي هو أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم... من أجل ذلك؛ فنحن نكتفي بأن تكون مقاطع الفصحى الدالة عليها هي المقاطع الخمسة السابقة. وعلى أساس من هذه المقاطع نقول إن لدينا ميزانا مقطعيا يزن الكلمة حاسبا تعداد مقاطعها، ونوع هذه المقاطع ليقابلها بميزان مواز لهذه المقاطع كما وكيفا. فإذا أردنا من خلال ذلك أن نزن كلمة ضرب؛ فإننا نقابل هذه الكلمة المكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة هي: ص ح ـ ص ح ـ ص ح. بميزان مكون من هذه المقاطع وهو فعل، ويكون الوزن مطابقا للواقع المستعمل للكلمة. وحين نزن كلمة مثل "نام"؛ فإن هذه الكلمة المكونة من مقطعين هما: ص ح ح ـ ص ح تُقابل بميزان هو: فال مكونا أيضا من هذين المقطعين؛ أي أن هذا الميزان يطابق الواقع المستعمل للكلمة بعيدا عن فرض أصل لها كما يتصور علماء الصرف. هذا الوزن المقطعي قرين علم الأصوات. ولم يك بدعا تماما على الثقافة العربية"[(١)].

ثالثا: الفرق بين الوزن الصرفي والوزن المقطعي

"من خلال رؤية الوزنين ندرك أن بينهما فروقا منها: أن الوزن الصرفي يعتمد أساسا على فكرة الأصول. وهى فكرة قرينة الدرس اللغوي العربي؛ حيث تجعل المثال المفترض أساسا حاكما لما هو موجود. على حين أن الوزن المقطعي يرفض هذه الفكرة ولا يعتمد إلا على الواقع المستعمل وحده...

من الفروق أيضا الوزن الصرفي من عمل الصرفيين. ومن أجل ذلك فهو مرتبط ارتباطا كاملا بفكرتهم عن حدود الدرس الصرفي. تلك الفكرة التي تربط الدراسة الصرفية عندهم بمجموعة معينة من الكلمات. وهى في عرفهم الأسماء المتمكنة المعربة، والأفعال المتصرفة. وعلى هذا فلا تدخل الدراسة

(١) من وظائف الصوت اللغوي: ٢١ ، ٢٥

الصرفية الكلمات التي هي من قبيل المبنيات من الأسماء كالضمائر وأسماء الشرط وأسماء الأفعال الخ ، ولا يقبل الدرس الصرفي الفعل الجامد ولا الحرف، فالوزن الصرفي لا يزن كل كلمات اللغة...

أما الميزان المقطعي الذي لا تشغله فكرة الأصول فهو يسير مع فكرة علماء اللغة المحدثين من أن كل كلمة صالحة للدرس الصرفي دون استثناء؛ ومن هنا فبإمكان هذا الميزان أن يزن كل كلمة واردة في اللغة العربية قبلت الدرس الصرفي أو لا؛ لأنه حاسب للمقاطع ومقابل لها بما يماثلها ويوازنها"[1]

كما تأبي اللغة العربية وجود أربعة مقاطع متتالية من نوع المقطع القصير المفتوح (ص ح) في إطار ظاهرة صوتية ترفض توالي أربعة مقاطع متماثلة من النوع (ص ح) ولذلك يبدله عند إسناد الفعل الماضي: كتب = ص ح+ ص ح+ ص ح ـــ> إلى ضمير المتكلم (مثلا)، فإن التركيب المقطعي سيكون = ك + ت + ب + تُ

= ص ح + ص ح + ص ح + ص ح

فإن النظام اللغوي الصرفي يأبى ذلك، ويقوم بتحويله بإدماج مقطعين في مقطع واحد هكذا (كتبْتُ) = ص ح + ص ح ص+ ص ح .

هذا الفرق بين الميزانين يجعلنا نعيد النظر إلى الكلام المنطوق ـ فهو الأساس في النص القرآني ـ حيث الكلام المنطوق له طبيعة خاصة ومقاييس مختلفة، فننظر هل تؤثر القضية المقطعية على نطق النص القرآني أم لا ؟. تلك القضية جديرة بالدراسة في ضوء علم الأصوات ومعطياته الجديدة .

هذا التعانق بين تقسيم الهواء الخارج عند التكلم إلى مقاطع تكوّن الكلمات التي تصدر عنه؛ أدخل ضمن عناصر تكوّينه عنصر المعنى، وهو العنصر الذي يصنعه المتكلم، وهو عبارة عما يصدر في النفس من أفكار تصنع المعنى، فهي عبارة عمَّا يحدث في داخل البنية التصورية للمتكلم من تفاعلات ذهنية حول أمر ما، قبل ظهور المعنى، ثم يخرج المعنى في صورة دفقات وزفرات

(١) من وظائف الصوت اللغوي: ٢٤ ، ٢٦

وأنّات، تُصبُّ في قوالب لغوية مختلفة، تعبر عن مكنونات النفس المختلفة.

فلو حللنا النص القرآني في ضوء هذه المفاهيم؛ فستظهر لنا قدرة القارئ على استحضار معاني الآيات عند النطق بها، من خلال تحكمه في تلك الدفقات عند خروجها، وتقسيمها لمقاطع، وإظهار مواضع النبر فيها، والضغط عليها بصورة توضح معناها وتبرزه.

١-٣-٣ الخصائص التركيبية للمقاطع القرآنية

يتميز المقطع القرآني بسمات تجعل له نغما خاصا، وقدرات لا تتحقق في الشعر ولا في النثر، فلا تتحقق إلا في القرآن الكريم، تلك السمات هي:

١- توالى أكثر من مقطع من النوع (ص ح):

يتوالى أكثر من مقطع من النوع (ص ح) في الآيات القرآنية؛ في أكثر من كلمة، وليس في كلمة واحدة، حيث يتوالي المقطع (ص ح) في أكثر من كلمة، أي في كلمات متتالية؛ ولا يكون ذلك إلا في القرآن الكريم، وقد أشار إلى ذلك أد. رمضان عبد التواب في قوله: "وقد فطن كثير من قدامى اللغويين إلى اختلاف لغة الشعر؛ عن لغة النثر في بعض الأحيان؛ وهذا هو أبو العلاء المعرى مثلا، يقول (لا يزاد في المنظوم على جمع بين أربعة أحرف متحركة، فأما النثر فيجمع الناطق فيه بين متحركات كثيرة؛ لأنه يقدر أن يقول: ضرب وفعل وصنع... إلى أن ينقضي النفس. وأكثر ما اجتمع في كتاب الله عز وجل، من الحروف المتحركة ثمانية؛ وذلك في موضعين من سورة يوسف، أحدهما: قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[١] فبين واو كوكب وياء رأيت، ثمانية أحرف كلهن متحرك. والموضع الآخر: قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾[٢] على قراءة من حرك الياء في: لي أبى. ومثل هذين الموضعين: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾[٣][١].

---

(١) يوسف: الآية٤

(٢) يوسف: الآية٨٠

(٣) القصص: الآية ٣٥

التحليل المقطعي للآيات:

١ـ [تُ أَحَدَ عَشَرَ كَ] ـ> تُ / أَ / حَ/ دَ/ عَ / شَ / رَ/كَ = ٨ مقاطع ص ح.

٢ـ [ذَنَ لِيَ أَبِيَ أَ] ـ> ذَ / نَ / لِ / يِ / أَ / بِ / يِ / أَ = ٨ مقاطع (ص ح).

٣ـ [دُ عَضُدَكَ بِأَخِ] ـ> دَ / عَ / ضُ/ دَ / كَ / بِ / أَ / خِ =٨ مقاطع (ص ح).

هذه الخاصية خاصة بالمقطع القرآني حيث توالي تلك الحركات تعني توالي ذلك العدد من المقاطع؛ مما أعطى القارئ القدرة على نطق مجموعة من المقاطع دفعة واحدة، وقد فعل هذا كثير من قُرَّاء القرآن ؛ فنجدهم يتبارون في ذلك حسب قدراتهم الشخصية على مد النفس لأكبر فترة زمنية والنطق بأكبر قدر من المقاطع المتماثلة المتوالية بمخزون هوائي واحد؛ كما قال أبو العلاء: إلى أن ينقضي النفس، فهذا القارئ مستمر في النطق بتلك المقاطع المتماثلة المتوالية بذلك الهواء المخزون في رئتيه، في تتابع لتلك الدفقات الهوائية المتتالية والمتماثلة الآتية من صدره، والحركات المتماثلة لقفصه الصدري، كل ذلك لأنه ينطق بثمانية مقاطع من النوع الأول متماثلة متوالية في أكثر من كلمة، فنتج عن ذلك نغم متماثل متكرر ثمان مرات متتالية وإيقاع منتظم. بل إن شيوخ القرَّاء يظهرون تلك القدرة الخاصة بهم وتميزهم عمن سواهم؛ بإشباع الحركة الأخيرة من الكلمة بتجل كبير، مع تخزين أكبر قدر ممكن من الهواء؛ لنطق أكبر عدد ممكن من المقاطع معا.

٢ـ أثر القراءات القرآنية على البناء المقطعي للكلمات:

يقول د. عبد الغفار هلال: "في بعض القراءات القرآنية تتداخل الكلمات بحيث تكوّن عددا متكاملا من المقاطع حال النطق بها، ولا يفصل بينها إلا معرفة المعنى. فإذا التقى المثلان متحركين جاز الإدغام في بعض القراءات ـ بإسكان الأول وإدغامه في الثاني ـ كما في قوله تعالى ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ

==

(١) فصول فى فقه العربية: د.رمضان عبد التواب، الخانجي،ط١٩٩٩،ص١٦١. وانظر "الصاهل والشاحج"لأبي العلاء المعري تحقيق بنت الشاطئ، القاهرة١٩٧٥م،ص ٤٧٢

﴿٢٠﴾ ﴿[١] ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴿٧﴾ ﴿[٢] ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴿١٩١﴾ ﴿[٣] ... ولو وازنا بين هذه القراءة، و قراءة الفك لوجدنا أن صورة المقاطع مختلفة، فهي مفتوحة "ب ب ـ ت ت ـ ث ث ". وهذا الذي يحدث في القراءات يجرى مثله في بعض كلمات اللغة"[٤]

التحليل المقطعي للآيات السابقة:

يمكن تحليل التركيب المقطعي للكلمات التي وردت في الآيات السابقة، لبيان كيف تكونت المقاطع الجديدة من الكلمات المتتالية نتيجة الإدغام:

١. {لذهب بسمعهم} تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح/ص ح/ ص ح/ص ح/ص ح/ ص ح ص /ص ح/ ص ح ص =٨ مقاطع، وتتحول بالإدغام إلى ـ> {لذهبِّسمعهم} فتصبح مقاطعها هكذا على التوالي: ص ح/ص ح /ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ص =٧ مقاطع .

٢. { الشّوكة تكون } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح ص /ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ص /ص ح =٧ مقاطع، وتتحول بالإدغام إلى ـ> { الشّوكتُّكون } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح ص /ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص /ص ح = ٦ مقاطع.

٣. {حيث ثقفتموهم } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ص ح ص/ ص ح /ص ح ح/ ص ح ص =٨ مقاطع، وتتحول بالإدغام إلى ـ> {حيثُّقفتموهم } تتكون من هذه المقاطع على التوالي: ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح /ص ح ح/ ص ح ص =٧ مقاطع.

---

(١) البقرة: الآية ٢٠

(٢) الأنفال: الآية ٧

(٣) البقرة: الآية ١٩١

(٤) أصوات اللغة العربية: د.عبدالغفارحامدهلال، مطبعة الجبلاوي ببولاق، ١٩٨٨ص٢٥٤

نلاحظ في الآيات السابقة (عند الإدغام):

١- تحولَ كبير في البناء المقطعي للكلمات من حيث عدد المقاطع ونوعها.

٢- وأن هذا القول يشير إلى خاصية أساسية في القرآن الكريم وهى التلاوة الدائمة له، هذا الأمر تَتْبَعُهُ طريقة معينة في النطق أو قل طريقة في الأداء تختلف عن غيره من أنواع القول المختلفة، فهو كنص مقدس يتمتع بإمكانيات خاصة منها:

أ ـ القراءة الدائمة آناء الليل وأطراف النهار: هذا الأمر يُظهر ما لدى القرَّاء المجيدين للقرآن من حسن الوصل والوقف عند القراءة، في إطار ما وضعه علماء القراءات القرآنية من قواعد تحكم ذلك العمل وتنظمه. وهذا جعل الدراسة المقطعية تقوم على أساس آخر؛ هو الاستعمال، فإن د. تمام حسان يقسم المقاطع حسب هذا المفهوم (الاستعمال) لنوعين في قوله: "هناك مقطع بحسب الأصل ومقطع بحسب الاستعمال... ونحن معنيون في هذه الدراسة بالمقاطع الاستعمالية لا التنظيمية لأن موضوعنا هو الإيقاع وهو ظاهرة استعمالية ... وليس مما يقع في اهتمام دراسة الإيقاع أن نتكلم عن المقطع ألتأصيلي المجرد تجريدا ذهنيا (مقطع الوصل) الذي لا يتحقق في الاستعمال.[1]

إن ما يعنيه د. تمام هو ما يفعله القرَّاء عند النطق الفعلي للمقاطع الصوتية عند قراءة القرآن الكريم (أي المقاطع في صورتها الاستعمالية) من وصل وفصل ووقف، وما يتبعه من تغيير في بناء المقاطع المختلفة، وانتقال للنبر؛ ولهذا فإن الدراسة التطبيقية لابد أن تكون على نص قرآني كريم مسموع على شيخ من شيوخ القراء المجيدين.

القراءات المختلفة للقرآن:

هذه القراءات تحمل خصائص صوتية في البناء المقطعي لها، فرضت على الناطقين بها طريقة معينة في بناء المقاطع التي ينطقون بها، وهو أمر يرجع إلى الطبيعة الصوتية لهذه القبيلة أو تلك اللهجة التي تعود إليها هذه القراءة القرآنية،

(١) البيان فى روائع القرآن: ٢٥٨ ـ ٢٦١

بما يُعرف باللكنة الخاصة بهذا المجتمع اللغوي، هذا ما يعنيه د. هلال من تحول في البناء المقطعي للكلمات بقوله: جاز الإدغام في بعض القراءات.

هذا الأمر يحدث أيضا في كلام الناس من تغيير في بناء مقاطع كلامهم تحت تأثير عادة كلامية معينة لديهم تمثل اللهجة الخاصة بهم.